**المحاضرة رقم 13**

1. **النظرية النفسية:**

أساسها عقدة أوديب التي ابتدعها فرويد كنموذج نظري تاريخي، وكصفة موروثة في الظواهر الإثنولوجية وتطور العلاقات البشرية داخل المجتمعات البدائية. فحياة الطفل المولود وتطورها اجتماعيا، كما حللها فرويد، هي حياة لا تختلف عن الحياة التي عاشتها المجتمعات الأولى من الأستراليين. ومن خلال هذه المماثلة، يمكن إسقاط ذلك على حياة الإثنيات البدائية بوصفها طفولة بشرية، وأن كل خصائص الحب والكره والمحرمات....إلخ، هي مفاهيم تجريدية لحياة ذات أصل غرائزي جنسي. وهي نفسها المفاهيم المفتاحية التي وظفها فرويد في تحليل السلوك الفردي، وقد أوضح من خلالها تأثير العلاقات الاجتماعية والثقافية، وفسر أيضا الشعور الداخلي للنفس الإنسانية بالتعايش مع أنماط الحياة.

وقد توزعت الرؤى النفسية في دراسة الثقافات الإنسانية في ثلاثة توجهات نظرية مميزة، فكانت كل من مارغريت ميد وروث بندكت أنصار التوجه الأول في هذا التحليل القائم على فكرة التضاريس الحضارية، بمعنى أن التنظيمات الاجتماعية متواجدة على شكل قوالب وأنماط ثقافية تعمل على تنميط الأفراد وتذويب شخصياتهم في المجموعة الإثنية. أما التوجه الثاني، فهو تابع لأنصار فرويد وتحليله النفسي، والذي رّكز من خلاله على إبراز دور الفرد في المجموعات الإثنية والحضارية ضمن مفاهيم ومكونات الشخصية. وبالنسبة للتوجه الثالث، مختلف فقد خصص لدراسة الأفراد كحالات نفسية، ومن ثم تطّبق الروائز النفسية والاختبارات والقياسات النفسية[[1]](#footnote-1).

وبالرجوع إلى روث بندكت التي تعتبر من الأوائل الذين بلوروا على أساس دراساتهم للأنثروبولوجيا الامبريقية المتباينة، الفكرة العامة التي مؤداها أن الثقافة هي بمثابة نسق متكامل من السمات السلوكية، أو هي عبارة عن سلوك مشترك يحوي أفكارا موحدة ومستويات وقوانين لا شعورية للاختيار.

وتنتمي روث بندكت إلى مدرسة الثقافة والشخصية، والتي يمثلها كل من مارجريت ميد، رالف **لينتون** وأتباعهم، وهي من أبرز المدارس وأشهرها في هذا الميدان. بحيث كانت اهتماماتهم الأساسية كعلماء للأنثروبولوجيا تنحصر بالدرجة الأولى في دراسة الثقافات البدائية، مستخدمين المنهج المقارن والجمع بين الأساليب الأنثروبولوجية والسيكولوجية في البحث، وذلك بتطبيق الملاحظة بالمشاركة والمقابلات الشخصية والاختبارات النفسية[[2]](#footnote-2).

ويدل عنوان كتاب مارجريت ميد حول التنشئة في غينيا الجديدة، على أهمية مجال الاتصال بين الثقافة والتنظيم العقلي للفرد وفقا للأساس التطوري والمقارن.

فطبيعة الفرد ومزاجه هما نتاج الشخصية، حيث تعمل الأنثروبولوجيا النفسية على فهم الكيفيات التي هو تجعل مثلا شخصية فرد ما مسالمة والأخرى عنيفة عدوانية. والقصد من هذا الطرح حسب رواد هذا الاتجاه، توصلت حيث التمييز بين المضمون الثقافي والمضمون السيكولوجي. بندكت إلى نتيجة مفادها أن الثقافة والشخصية هما جانبين إثنين لنفس الحقيقة الواحدة. وهكذا يتمثل إسهامها الأساسي في البرهنة أّنه من خلال التمثلات الثقافية، ينتج كل مجتمع نموذجا متميزا من الشخصية. بمعنى، أن رواد هذا الاتجاه يركزون على نموذج التنظيم العقلي المتوافق والمكيف مع المتطلبات الوظيفية والبنائية[[3]](#footnote-3).

وكما سبق في التحليل الفرويدي، فإن إسقاطاته غير مبررة علميا لما لاحظه في مجتمعات الحضارة الغربية، إضافة إلى أن الاختبارات النفسية المعتمدة في التحليلات النفسية للمجموعات الحضارية البدائية أو الشبه بدائية، كانت مشبعة بالثقافة والنمط المعيشي، مما يقّلل من موضوعيتها وحيادها كأداة للقياس. فمنهج **رورشاخ** مثلا وأدواته التي طبقت على الجماعات البدائية، لا يمكن فصلها عن الثقافة والحضارة الغربية المعاصرة[[4]](#footnote-4).

إن الحاجة التي استشعرتها الأنثروبولوجيا إلى علم النفس، قد أدت إلى لفت انتباه الأنثروبولوجيا للاستعانة بعلم النفس من أجل فهم الظواهر الثقافية بصفة خاصة. وينحصر ذلك في اتجاه قديم يرتبط بالإثنولوجيا ارتباطا قويا في كتابات عدد كبير من علماء القرن **20**م، ممن كانوا يطبقون الاستبطان في محاولاتهم معرفة أصل الثقافة البدائية ونشأتها، وبخاصة الدين والشعوذة والسحر والأساطير.

وقد ظهر هذا الاتجاه إلى حد ما في كتابات مالينوفسكي الذي كان يرى بأن الدين ينشأ في أوقات الأزمات التي تمتاز بتوتر وشدة الانفعالات مثل حالة الوفاة. لذلك فقد استخلص عددا كبيرا من الأنثروبولوجيين الثقافيين المحدثين، أن أية نظرية متماسكة ومتكاملة عن الثقافة، بالضرورة تبحث في علاقة الثقافة بطبيعة الإنسان البيولوجية النفسية.

ومن هذا الطرح، يذهب **روبير لوي** **R. Lowie** الذي يعارض فكرة الفصل بين الناحيتين التاريخية والسيكولوجية في دراسة الثقافة، إلى القول في مسألة الدين، بأنه لا يمكن اعتبار الظواهر الدينية ظواهر سيكولوجية خاصة أو ثقافية بحتة، وأن فهمها بوضوح يتطلب الاستعانة بعلم النفس والتأويلات التاريخية على السواء.

ولقد ظهر في أمريكا اتجاه يقوم على الاعتقاد بأن حقائق الثقافة هي حقائق سيكولوجية تاريخية أو سيكو-ثقافية، ويظهر ذلك بوضوح في أعمال كل من **بيدني Bidney** و **جولدنفايزر**  .**Goldenweise**

وبازدياد الاهتمام بين علماء الانثروبولوجيا للنواحي السيكولوجية في الثقافة، ظهر اتجاه لدراسة الشخصية في علاقتها بالثقافة، عن طريق تحليل العلاقة بين الثقافة والفرد أو دراسة أثر الثقافة في تكوين الشخصية[[5]](#footnote-5).

وعلى الرغم من حداثة هذا الاتجاه الجديد، إلا أنه فرض نفسه بقوة في ميدان الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية. ووجد له أنصارا مميزين في أمريكا. حيث يصرح كل من **أوغبرن** **Ogburn** و **نيمكوف** **Numkoff** أن الأنثروبولوجيا ظلت لسنوات طويلة تهتم بالتنظيم الصوري للثقافات المختلفة دون الاهتمام بالطريقة التي تؤثر بها الثقافة في الشخصية. وظل بذلك علماء النفس يركزون جهودهم على دراسة السلوك في معامل مخصصة لهذا الغرض، دون البحث في التأثيرات البيئية ذات الأهمية البالغة في ذلك. ولكن سرعان ما اكتشف الأنثروبولوجيون الشخصية، كما اكتشف علماء النفس الثقافة، حينئذ تعاون كل من علم النفس والأنثروبولوجيا باهتمام كبير في دراسة مشكلة العلاقات المتبادلة بين العوامل الثقافية والعوامل السيكولوجية[[6]](#footnote-6).

1. - العربي بلقاسم فرحاتي، **تجربة علوم الإنسان في فهم الإنسان-قراءة في علوم الإنسان الحديث ومقدمات البديل-مقاربات علم الإنسان المتخصص في فهم الإنسان ومعالم تأسيس البديل، قراءة في علم الأنثروبولوجيات الحديث،** ج 3، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 124. [↑](#footnote-ref-1)
2. - علي عبد الرزاق حلبي، **دراسات في المجتمع والثقافة والشخصية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية-مصر، 1999، ص 250. [↑](#footnote-ref-2)
3. - علي عبد الرزاق حلبي، **مرجع سابق**، ص 251، 252. [↑](#footnote-ref-3)
4. - محمد رياض، **مرجع سابق**، ص 274. [↑](#footnote-ref-4)
5. - بن معمر عبد الله، **ميادين الأنثروبولوجيا**، النشر الجامعي الجديد، تلمسان-الجزائر-، 2020، ص 62. [↑](#footnote-ref-5)
6. - أحمد أبو زيد، **محاضرات في الأنثروبولوجيا الثقافية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1978، ص 86. [↑](#footnote-ref-6)